

# الحالة العامة في محافظة إدلب ورهاناتها المستقبلية بعد التطورات الميدانية الأخيرة

ورقة بحثية صادرة عن مركز إدراك للدراسات والاستشارات

إعداد: طالب الدغيم

مركز إدراك للدراسات والاستشارات

حزيران / يونيو ٢٠١٧

# إدراك RAK

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

## المحتوى

٣	مقدمة.....
٣	أولاً: الحالة العامة في محافظة إدلب بعد سيطرة هيئة تحرير الشام عليها في تموز/يوليو 2017.....
٣	-الناحية الاجتماعية.....
٤	-الناحية الإدارية التنظيمية والأمنية والعسكرية.....
٤	-الناحية الاقتصادية.....
٥	ثانياً: الرؤية المستقبلية لمحافظة إدلب: مرحلة ما بعد هيئة تحرير الشام.....
٥	السيناريو الأول. الزحف الكردي والضربة العسكرية الأمريكية.....
٦	السيناريو الثاني. التدخل التركي المباشر من جديد "درع ثانٍ".....
٧	السيناريو الثالث. التبريد السياسي في إدلب والتفاوض في الميدان.....
٨	خاتمة.....

## مقدمة

فرضت التطورات العسكرية الأخيرة في محافظة إدلب ظروفاً جديدةً وتغيرات نوعية في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية. فكان تفكيك هيئة تحرير الشام أو جبهة النصرة للفصائل واحداً تلو الآخر محوره محافظة إدلب، والتي تعد أكبر قاعدة للمعارضة السورية المدنية والعسكرية. فبعد سيطرة هيئة تحرير الشام "جبهة النصرة" على المحافظة، وإنهاء قوة حركة أحرار الشام في أواخر شهر تموز/يوليو ٢٠١٧، أطلقت الهيئة ما سُمي "مبادرة الإدارة المدنية في محافظة إدلب" رغبة منها في إحكام قبضتها على مفاصل الحياة العامة في المحافظة، ودون أن تنظر لعواقب عملها؛ إذ هددت تلك السيطرة بوصم ما تبقى من الجغرافيا الميدانية والعسكرية للثورة السورية بالإرهاب.

كما تزامنت سيطرة الهيئة على إدلب مع توجه كثير من الدول العربية وعلى رأسها السعودية ومصر لتأهيل النظام السوري من جديد؛ ممّا دفع بالحليف التركي القطري للثورة إلى موقع الدفاع عن النفس، وتنامي النفوذ الروسي والأمريكي بجانب حلفائهما في سورية. وبناء على ذلك، فرضت تلك الظروف تطورات داخلية وسيناريوهات متعددة في محافظة إدلب، اختلفت توقعات المراقبين والباحثين حول إمكانية حدوث أحدها دون الآخر.

## أولاً: الحالة العامة في محافظة إدلب بعد سيطرة هيئة تحرير الشام عليها في تموز/يوليو 2017

إن تقدير الموقف بعد التطورات العسكرية الأخيرة في محافظة إدلب، وسيطرة هيئة تحرير الشام "النصرة" على معظم مدن المحافظة وقراها، يدفعنا إلى استقراء أوضاع المجتمع، وتقصي طبيعة حياة الناس وواقعهم وظروفهم المعيشية، وكيف تفاعلوا وتعاطوا مع القوة المهيمنة الجديدة. وبإمكاننا فهم الحالة العامة في محافظة إدلب من عدة نواحٍ، وأهمها:

### -الناحية الاجتماعية

منذ منتصف شهر تموز/يوليو ٢٠١٧، يعيش الناس في محافظة إدلب حالةً من الفوضى الأمنية الناتجة عن اقتتال هيئة تحرير الشام مع حركة أحرار الشام الإسلامية. حيث أدى النزاع الفصائلي إلى حالة من التفكك الاجتماعي والخصام الأهلي الذي سببه التوزع العائلي داخل الفصائل المختلفة، وانضواء أبناء العائلة الواحدة تحت رايات متعددة، وانتسابهم لتشكيلات عسكرية لا حصر لها، هو ما أجج الأوضاع، وزاد الفوضى، وأدى لحالة من عدم الاستقرار الأمني والنفسي والنفور الشعبي بعد التطورات الميدانية الأخيرة. فتحوّلت البوصلة من قضية ثورة شعبية على نظام مستبد انتهك الحقوق والقيم الإنسانية إلى حركة فصائلية داخلية دموية، يقتل بعض رفاق السلاح فيها

بعضهم الآخر، فأنثرت على الذهنية العامة للمواطن، وغدا العدو الأول للإنسان المدني هو حامل السلاح، أي كان انتماءه الثوري.

## -الناحية الإدارية التنظيمية والأمنية والعسكرية-

ارتفعت مستويات العنف بشكل عام، وتزايدت نسبة التصفيات الجسدية الفردية، والاختطاف والسرقة في الطرقات والمناطق التي كانت آمنة. فالانهيار الفصائلي، وبقاء الكثير من الأفراد المنتمين لفصائل الجيش الحر وحركة الأحرار سابقاً بلا عمل، عدا مقاتلي فيلق الشام وحركة نور الدين زنكي، بالإضافة إلى الرعب الذي تركه التصارع بين الفصائل، بالإضافة إلى تدخل الهيئة في جميع مرافق الحياة العامة، بما فيها قطاعا الصحة والتعليم، وطرحها الأخير لمبادرة الإدارة المدنية في نهاية شهر آب/أغسطس من هذا العام، قد قسم المحافظة بمجالسها المحلية ومراكزها التعليمية والأكاديمية والخدماتية، ومحاكمها المدنية، ومخافرها الثورية بين مؤيد ومناصر لمبادرة الإدارة المدنية، ومعارض رافض لها لديه رغبة في إبقاء المؤسسات المدنية والإدارات الخدمية تابعة لمجلس محافظة إدلب ووزارة الإدارة المحلية في الحكومة السورية المؤقتة.

ويجدر التنويه إلى أن خطة الهيئة "النصرة" في تمدين سيطرتها على إدلب ليست خافية عن الغرب، وذلك ما أسماه المبعوث الأمريكي الخاص إلى سورية مايكل راتني في بيانه في ٢ آب/أغسطس ٢٠١٧ "خطة جبهة النصرة بالاختباء وراء إدارة مدنية"، واعتبرها راتني أساليب مراوغة مكشوفة هدفها الأول الالتفاف على التصنيف. فتلك الإجراءات الأخيرة أدت لحدوث اضطراب تنظيمي وتأزم عسكري وأمني، وبقيت حواجز الهيئة وأرتالها المجوقلة، وكوادرها المدنية، غير العريقة في الأزمة السورية، محور الأحاديث والنقاشات في جميع المجالس الشعبية في مناطق إدلب الريفية والمدنية.

## -الناحية الاقتصادية-

فرضت القوة الجديدة "هيئة تحرير الشام" سيطرتها على المعابر الحدودية مع تركيا، كمعبر أطمه وباب الهوى وخربة الجوز. وكذلك أحكمت سيطرتها على المنافذ البرية الداخلية مع داعش في ريف حلب وإدلب، والمناطق الخاضعة لسيطرة النظام السوري في أرياف حلب وحماة واللاذقية. وقد عقدت إدارة الخدمات التابعة للهيئة اتفاقات مع المديرية الخدمية التابعة لحكومة النظام السوري، لاستئناف عمل شبكات الكهرباء في محافظة إدلب مقابل ضريبة شهرية ثابتة.

وفيما يتعلق بالواقع المعيشي لسكان المحافظة، فالعديد من الشباب في إدلب يزاول إما الأعمال التجارية الحرة أو العمل في منظمات المجتمع الأهلي أو هيئات الإغاثة الإنسانية الدولية، إلا أن الكثير من الشباب أصبح عاطلاً عن العمل، فهناك أكثر من خمسة آلاف شاب من حركة أحرار الشام، وآلاف غيرهم من فصائل أخرى يعيشون دون دخل شهري يؤمن معاشهم، وهناك البعض منهم التحق بالتعليم لخوض امتحانات الثانوية العامة، أو إكمال الدراسة في المعاهد والفروع الجامعية التابعة للحكومة السورية المؤقتة "جامعة حلب الحرة"، أو التابعة لهيئة تحرير الشام

وإدارة إدلب "جامعة إدلب"، متطلعين بدراساتهم لفرص عمل مستقبلية. وبالمجمل، يعيش المواطن في محافظة إدلب أزمة بطالة خطيرة، جعلته يبحث عن نصيبه من السلال الغذائية الشهرية، ويخوض جدالات واسعة مع الهيئات المدنية "لا سيما المجالس المحلية" من أجلها، ويتطلع بياس إلى مستقبل مجهول لا يعلم مكانه فيه.

## ثانياً: الرؤية المستقبلية لمحافظة إدلب: مرحلة ما بعد هيئة تحرير

### الشام

في الأسابيع الأخيرة، قفزت للواجهة عدة سيناريوهات متداولة لمحافظة إدلب الواقعة تحت سيطرة هيئة تحرير الشام "النصرة". وتدور معظم الأفكار حول خطط خارجية للتدخل؛ فمنها تركية بالتعاون مع الروس، وأخرى للدفع بقوات كردية - عربية تحت غطاء أمريكي. وفي الحقيقة، يهدد محافظة إدلب سيناريوهات داخلية وخارجية خطيرة. ويقع الباحث في حيرة عندما يتأمل المشهد الميداني في الشمال السوري، ومحافظة إدلب بشكل خاص، ومقدار الغموض الذي يلف مستقبل المحافظة، وما يمكن أن يكون عليه الحال في الأيام القادمة. ولذا يمكن طرح عدة سيناريوهات مقبلة في محافظة إدلب، وأبرزها:

### السيناريو الأول. الزحف الكردي والضربة العسكرية الأمريكية

بنظر الدول المهتمة بالشأن السوري أصبحت إدلب محافظة للإسلاميين الجهاديين، ومركز تجميع للمهاجرين والأنصار الراغبين في قتال النظام السوري وروسيا وإيران، وأمريكا والأكراد، وتركيا والجيش الحر، كما هو الحال في قتال تنظيم الدولة "داعش" في منطقة الجزيرة السورية. وبهذا، تتحول إدلب إلى هدف حيوي للأطراف الإقليمية والدولية. فالخيار هنا سيكون عسكرياً بحتاً في المراحل اللاحقة بعد انتهاء مرحلة تجميع العناصر المسلحة، وتحديد المواقع، ورفع لوائح بالشخصيات القيادية والأفراد، وإجراء رصد وتدقيق بأسماء الكيانات الداعمة لجهة النصر في إدلب.

وقد تلجأ الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، قبل أي إجراء عسكري، لعملية قطع المساعدات الإنسانية عن الأهالي في المحافظة وما يجاورها في مناطق حلب واللاذقية وريف حماة. ويفترض داعمو هذا السيناريو بأن حرمان المجتمع المحلي من الدعم الإنساني سيدفع الأهالي إلى الغضب من هيئة تحرير الشام؛ لأنها سببت تجويعهم وجزءاً من معاناتهم. وبعد ذلك تأتي مرحلة قصف جوي مكثف للتحالف الأمريكي. العربي واسع النطاق على إدلب، مع المعرفة

المسبقة باحتمال سقوط مدنيين، وهؤلاء يعرفون دولياً باسم الأضرار الجانبية. ومن شأن هذا الاحتمال تقويض قوة الهيئة، تحضيراً لعمل عسكري بري متفق عليه بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على الأرض<sup>١</sup>.

ويثبت ذلك نشر تقارير متأخرة عن احتمال شن ثلاثة آلاف مقاتل من عناصر عشائرية مدعومة من أحمد الجربا (الرئيس الأسبق للائتلاف السوري المعارض)، وقوات صالح مسلم الكردية" ب ي د" لهجوم كبير على إدلب بعد انتهاء عملية تحرير الرقة من تنظيم الدولة "داعش"، وستكون العملية بدعم أمريكي وإماراتي وإسرائيلي لانتزاع المحافظة. ولعل هذا السيناريو وارد، للحيلولة دون حدوث تدخل تركي مباشر في محافظة إدلب، وإخراجها من معادلة الصراع السوري، وإبقاء حدودها الجنوبية خاضعة لهشة، وخاضعة للنفوذ الأمريكي الدائم.

## السيناريو الثاني. التدخل التركي المباشر من جديد "درع ثانٍ"

لتركيا فرصة في أن تفرض تدخلها وتحسم الأمر عسكرياً على الأرض في إدلب، ولا سيما بعد الدعم الذي لاقته من روسيا وإيران إثر تدخلها الأول في شمال حلب "عملية درع الفرات". وهذا التدخل سيخدم تركيا استراتيجياً في نواح عدة وأهمها: ربط قواتها الموجودة في شمالي حلب بإدلب عبر مناطق عفرين الكردية، وبذلك تمنع تشكل كيان دولة كردية موعودة "روح آفا"، وهذا السيناريو الأكثر تعقيداً؛ لأنه لا يمكن لتركيا بهذه الحالة التدخل دون إسناد من قوى عسكرية سورية فاعلة، ودون دعمٍ وغطاءٍ أمريكي أو روسي سياسي واستخباراتي.

إن استمرار الواقع على ما هو عليه يحمل تهديدات جدية وعميقة للوضع الإقليمي برمته، فتركيا عرضة لسلبيات سيناريو بعشيقه العراق؛ إذ إن وجودها المؤقت في منطقة درع الفرات رهن باستمرار رضى الطرف الدولي الذي سهل لها الدخول، وكذلك هي عرضة لتبعات تنامي تحميلها مسؤولية الحرب في شمالي سورية من جهة النظام، وكذلك عرضة لتبعات الشعور بالتذمر نتيجة انخراطها الرئيسي في مسارات اتفاق أستانا من جهة جمهور الثورة. ولاشك بأن تكاليف دفع تلك المخاطر تزايد بمرور الأيام، ونسب نجاحها تتقهقر من جراء ترسيخ الأوضاع العامة في إدلب حالياً.

وهنا فتركيا واقعة بين العلاقة التنسيقية مع روسيا والولايات المتحدة الأمريكية لا تسمح لها بمهاجمة الأكراد في عفرين من جهة، ومن جهة أخرى فمن المحتمل أن تنخرط تركيا بهجوم بري منفرد على إدلب "درع ثانٍ" بتغطية سياسية روسية لقتال الجهاديين، لتكرار المقاربة التي حدثت في درع الفرات ضد تنظيم الدولة "داعش"<sup>٢</sup>. وبعدها

<sup>١</sup> منهل باريش، سيناريوهات إدلب المحتملة: ليس بالضربة العسكرية وحدها يتم القضاء على "النصرة"، القدس العربي، ١٩ آب/أغسطس ٢٠١٧، انظر:

<http://www.alquds.co.uk/?p=775121>

<sup>٢</sup> وائل عصام، سيناريوهات إدلب المعقدة بين تركيا والأكراد والنظام، شبكة جيرون، ١٩ آب/أغسطس ٢٠١٧، انظر: <http://www.geroun.net/archives/91916>

تنشر تركيا قوات أمنية على طول حدود مناطق خفض التوتر بين إدلب والمحافظات المحاذية لها، تمهيداً لحل سياسي مزعم إقراره في مؤتمر أستانا بتاريخ ١٥ أيلول/سبتمبر ٢٠١٧ مع كلٍ من روسيا وإيران.

## السيناريو الثالث. التبريد السياسي في إدلب والتفاوض في الميدان

تمهيداً لجعل إدلب منطقة من مناطق خفض التوتر التي تقرها القيادة الروسية في قاعدة حميميم الجوية، وذلك في مناطق عدة من شمال سورية إلى جنوبها بتنسيق ومباركة تركية وإيرانية بعد مؤتمر أستانا في أيار/مايو ٢٠١٧. حيث شمل المؤتمر محافظة إدلب ضمن مناطق خفض التصعيد، على الرغم من الخلافات التي جرت حول وضعها المستقبلي. ووفق ذلك، قد تدعن هيئة تحرير الشام للضغوط الأهلية الداخلية والدولية المستمرة لتحويل إدلب لمنطقة مستقرة، وإنهاء الوضعية العسكرية فيها.

بعبارة أكثر دقة، فإن روسيا منفردة دون أمريكا بالشمال السوري، وفي حال افتراضنا أنها جادة بالوصول إلى حل سياسي في سورية، وإرساء قواعد التوافق والسلم بين مكونات الشعب السوري، فقد تصل لصيغة اتفاق بجهود تركية أو منفردة لضم إدلب لمناطق خفض التوتر تحت إدارة مدنية لهيئة تحرير الشام تمهيداً لدخول قوات نظامية روسية للمحافظة، كباقي مناطق سورية التي نجحت فيها تركيا<sup>٢</sup>.

يمكن القول إن إمكانية الحسم العسكري الدولي غير ممكنة في محافظة إدلب لانشغال الولايات المتحدة وقوات سورية الديمقراطية بمعارك تخليص الرقة ودير الزور والحسكة من تنظيم الدولة، وفي المقابل تصب موسكو قوتها لإنجاح مناطق خفض التصعيد وقتال تنظيم الدولة، ولعل تركيا الوحيدة المتفرغة لدخول إدلب<sup>٤</sup>، رغم خسارتها لحركة أحرار الشام الحليف الأقوى لها في سورية عامة، وإدلب خاصة.

لا تبدو أي من الخطط التي يجري تداولها بمشاركة كردية ستطبق على الأرض، بل إن الخطة الخاصة بدعم روسي وإيراني ميداني لقوات تركية في عفرين وشمال اللاذقية لاجتياح إدلب تبدو أكثر ترجيحاً. فالنظام وحلفاؤه لا يرغبون بتقسيم سورية لمناطق مُفدرلة أو خارجة عن سيطرتهم بالمطلق، ولو أنهم يرون في تركيا تهديداً لنفوذهم داخل المحافظة ولكن سيطرتها أخف خطورةً من خضوع المحافظة لهيمنة كردية "قوات سورية الديمقراطية". وعلى ضوء هذا التنافس حول من سيبدأ بتصفية هيئة تحرير الشام "النصرة" في إدلب، ومفاوضات تركيا الجانبية مع الهيئة لتسليم المحافظة للحكومة السورية المؤقتة، تزداد السيناريوهات المقترحة حول إدلب تعثراً وتعقيداً. وعلى هذا المنوال، وفي حال رجح سيناريو التدخل التركي، فإن إدلب لن تكون كياناً مستقلاً أو جزءاً من فيدرالية إدارية يحلم بها

<sup>٢</sup> محمد خير الوزير، اتفاقية أستانا لخفض التصعيد في سورية بين الواقع والممكن، المؤسسة السورية للدراسات وأبحاث الرأي العام، ١٧ تموز/يوليو ٢٠١٧.

<sup>٤</sup> منهل باريش، مرجع سابق.

الأكراد، بل ستكون منطقة نفوذ دولي "أستانية" تتبع مركز الدولة في العاصمة السورية دمشق، ولذلك سيكون السيناريو الثاني خياراً محورياً في المستقبل السياسي لسورية.

## خاتمة

في نهاية المطاف نعتبر أن ما آلت إليه الأوضاع العامة منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، حيث أدت متاعب الانقلاب التركي الفاشل ومواقف الدول الغربية منه، ودفع تركيا باتجاه المعسكر الشرقي "الروسي والإيراني"، هو ما خلق واقعاً جديداً في سورية. وقد بدأ ترسيخ استراتيجية الهدن الجزئية كبديل عن الوقف الشامل لإطلاق النار، وفرضت طموحات السعودية للهيمنة على قرار المعارضة السورية عبر الهيئة العليا للمفاوضات، ونزاعها مع قطر لتسليم أوراق الاعتماد السوري لأحمد الجربا عبر منصة الرياض، وكما سلمت قطر أوراقها للدولة التركية. وبناء على المعطيات المذكورة، تضاعف الاهتمام العربي بقوى المعارضة السورية، وزاد الدعم السياسي للشخصيات المروجة لتأهيل بشار الأسد في مرحلة انتقالية قادمة. بالإضافة إلى ذلك، تضاعفت الأهمية السياسية للعمليات العسكرية للمعارضة، وتغيرت خريطة الفصائل وانحسر تأثيرها على الأرض، فكل ذلك أدى لتغير المزاج العام تجاه القضية السورية، وتراجع أهميتها بشكل ملحوظ.

ولهذا فإن جميع سيناريوهات إدلب معقدة، وتندرج بقرب مخارج للأزمة السورية، إما بهجوم عسكري، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وقوات كردية، أو بقوات روسية وإيرانية، وهو ما سيجعل من إدلب موصل جديدة، ولكن بصورة أكثر دموية وعنفاً، وقد سيكون السيناريو الأكثر مقاربة للمرحلة الراهنة، هو خطة سياسية تركية وروسية، وهو الخيار الأقوى. وهنا سيحسم عامل الوقت والخيارات والنتائج بين جميع المتنافسين على محافظة إدلب.